امرأة على درب

أبصرتها تغزل أوهامها ... فوق طريق غامر الظل
تنظر للماضي.. وقد كفنت ... تلاله في غيهب الليل
مجنونة الاغراء . كم رعشة ... حمراء في أعماقها تغلي
وشعرها الثائر يبدو كما ... تموّجت سنابل الحقل
لكنني أبصر في عينها ... طهراً يرى امثاله ... مثلي
أصفى من الينبوع، من قطرة ... فجرية ، من بسمة الطفل !

***

والتفتت صائحة في الدجى ... يا أنت !.. قد عذّبني غُلّي
فكّ قيودي. أصدأت معصمي ... وانتحرت مراوح الظل
فجر شبابي قد غدا مسرحا ... للبوم ، والغربان ، والسل
فقدت ازهاري فما في يدي ... إلا بقايا عبق الفلّ
وعوسجات داميات الرؤى ... كاللعنة السوداء ، كالويل
لكني أذرف دمعي هنا ... أروي به زنابق الليل

أبكي هنا وحدي. وكم كرمة ... اضحت وقوداً للأسى مثلي
أذوت ولم تزه عناقيدها ... وودّعتها أدمع الطل
تل من الآلام أمشي به ... مصلوبة ... أنوء بالحمل
يرمقني كل الورى ساخراً ... حتى عيون الليل من حولي
تجذبني للقاع مهتاجة ... مجنونةً عواصف السيل
كأنني بين حنايا الدجى ... عمياء.. تهوي في دجى الوحل
أنغص أيامي هنا .. أدمعا ... يتيمة .. في هيكل الذل
أغزل لليل عباءاته ... ويغزل الليل هنا ... ظلي !
كم نجمة تبكي عشيقا هوى ... منتحرا.. من غير ما وصل..
كئيبة تذرف أضواءها ... فمن لقلبي في الهوى من لي ؟
لم يبق في القاع سوى قطرة ... اخشى عليها لافح الهول
انا التي فوق طريق الدجى ... أبيع للشارين في ذلّ
.. أصبحت في نأي الدجى عنوة ... من غير ايقاع ولا ظلّ

القاهرة

محيي الدين فارس

لقد خرج كتابنا كما قلت من نطاق القصة الغرامية إذ رأوا في العالم الواسع احداثاً كثيرة تستحق الاهتمام فاهتموا بها ... ولكنك اذا ما قرأت لكبار قصصي الغرب وقابلته بما عندنا رأيت الفرق واضحاً .

•

خذ تشيخوف مثلاً واقرأ له قصة « فانكا » او « رسالة الى جدي » وانظر كيف يهتز كيانك لها .. انه يصور لك كيف اثارت عشية الميلاد شجون الصبي وهاجت ذكرياته .. لقد ارسله جده الشيخ، قريبه الوحيد في الدنيا ، ارسله من القرية الى العاصمة ليشتغل عند صانع احذية فشقي الصغير.. ثم جلس يحلم بالاعياد التي كان يذهب فيها مع جده الى الغابة ليقطعا شجرة صنوبر للميلاد ويزيحا الثلوج عنها وحولها الكلبان المحبوبان يتراكضان.. يحلم كيف كان الجد يضع العطوس في انفه ويهب بطاهيات منزل السيد: «اتردن عطوساً..؟» ثم يعطين فينهمكن في العطس وجد فانكا يضحك مسروراً ويصرخ «هلكت من الصقيع..» ثم يضع العطوس للكلبين ايضاً فتكون حفلة عطاس مضحك .

ويظل الصغير يصور آلامه في الرسالة .. كيف هزه معلمه الجديد من شعره لهفوة.. وكيف وضعت معلمته رأس السمكة في فمه لانه بدأ بتقشيرها من ذنبها .. وكيف فقد الصغير كل حنان هنا بعد المعاملة الحنون التي كان يلاقيها من السيدة القديمة التي حملته الى القصر يوم ماتت امه بعد ابيه ليكون بجانب جده عندها .. وكيف حنت عليه كامّ ثم يختم رسالته هكذا :

« اتوسل اليك يا جدي العزيز - من اجل المسيح - ان تنقلني من هذا المكان .. اشفق على اليتيم التعس.. ان كل من في البيت يضربني وانا اشتهي الطعام ولا أنفك عن النحيب وذرف الدموع .. لقد ضربني معلمي مؤخراً بقالب حذاء على رأسي فوقعت ولم استطع النهوض الا بكل مشقة .. آه لقد ضيعت حياتي .. انها اسوأ من حياة الكلاب .. لا تعط «مزيكتي» لاحد.. واهد سلامي الى هيلين وايفور الاكتع والسائق ساشا .. احضر يا جدي احضر وابق لحفيدك المطيع ايفان ».

ويختم الكاتب الكبير فيصور لنا كيف طوى الصبي الرسالة واشتري لها طابعاً واحداً بالكوبيك الوحيد الذي معه .. وكيف كتب على غلافها - الى قرية جدي - ثم حك رأسه بالريشة واضاف - كونستانتين ماكاريتس - وكيف هب من مكانه واختطف قبعته ووضعها على رأسه وهرع الى الشارع بقميصه ساهياً عن لبس معطفه ثم اسقط الرسالة في صندوق قالوا امامه مرة ان الرسائل تجمع منه وتحمل على زحافات تجرها خيول مطهمة ترن في اعناقها اجراس ويقودها رجال سكاري لتوزع على كل انحاء العالم .. ثم عاد فانكا ليغمض جفنيه ويحلم بجده وقد استلم الرسالة واسرع اليه.

هذه اقصوصة مبتورة ولكنك تنتهي من قراءتها فلا تتساءل هل جاء جد الصبي صدفة - والا فماذا حدث للصغير بعد ذلك ؟ تقرأها فتجد نفسك امام صورة جياشة تثير الشجون .. وتجعلك تتساءل : لماذا يجور الناس على هؤلاء الاطفال ؟. كم من آلاف منهم يودون ان يكتبوا ما كتب فانكا لجده ليلة الميلاد ؟. من الملوم عن مآسي هؤلاء الصغار؟. كيف نخفف آلامهم ؟.. وعلى الجملة تتركك وقد استطاع الكاتب ان يهز كيانك ويثير شجونك.

ذلك رأيي كقارئة تتمنى للاقصوصة العربية التي سارت شوطاً كبيراً الى الامام ان تستمر في سيرها بحيث تصبح في مستوى القصة العالمية الراقية .. وبحيث ترتفع بذوق الجمهور وتضرب على وتر انسانيته .

اسمى طوبي